

شعاع الهداية

إهداء

لكل مسلم صادق يريد الوصول إلى طريق الحق ومحبة
سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه ..

حقوق الطبع محفوظة

دار الإمام إبراهيم للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فتح لأولياءه طرق الوسائل وأجرى على أيديهم
الكريمة أنواع الفضائل .. فمن اقتدى بهم اهتدى ومن ضل
طريقهم شقى .. والصلاة والسلام على وسيلتنا إلى ربنا الكريم
مولانا رسول الله وعلى آله وأصحابه إلى يوم أن نلقى الله رب
العالمين.

أما بعد ...

من عجيب العجائب لأهل هذا العصر إنكار التوسل بجميع
الوجوه، سواء بالنبي ﷺ أو بأهل بيته .. أو بالصحابة .. أو
بالأولياء .. مع أن الحق تبارك وتعالى أمرنا باستخدامه حيث
قال ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾^١ وظاهر
الآية بدون أى تعليق من لم يطلب الوسيلة لا يتقى الله، ويحتج
البعض بأن الوسيلة المذكورة فى الآية هى درجة فى الجنة ونسأل
الله أن يجعلها للنبي ﷺ، والبعض الآخر يقول أن التوسل فى

الآية بأعمالنا - وهذا معنى ضمنى - وأيها أفضل أن أتوسل بأعمالى التى هى فى حكم الرد أو القبول أم أتوسل بالنبي المقبول عند رب العالمين، وعلى كل سنحتكم إلى الكتاب والسنة لنبين حكم التوسل ليس بالنبي ﷺ وأهل بيته فحسب بل بسائر الأنبياء والصحابة والأولياء بنصوص من الكتاب والسنة، والأعجب توسل اليهود وأهل الجاهلية بالنبي ﷺ ويا أسفاه على مسلمى عصرنا الذين ينكرونه .. وأما عن المراد بمعنى الوسيلة لغويا كما جاءت كتب اللغة فهى ما يتقرب به إلى الغير.

التوسل بالنبي ﷺ قبل ولادته

١ . ١

يحدثنا الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟﴾

قال: يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلى، ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ﴿﴾ أخرجه الحاكم في المستدرک ورواه السيوطي والبيهقي والطبراني.

وجاء من طريق آخر عن ابن عباس بلفظ: ﴿﴾ فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ﴿﴾ رواه ابن كثير في البداية والنهاية الجزء الأول ورواه الحاكم في المستدرک وابن الجوزي.

وفي هذا يقول بعض الصالحين:

أنت الذي لما توصل آدم

من زلة بك فاز وهو أباك

وقال تعالى في سورة البقرة ﴿﴾ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴿٢﴾ جاء
في كتاب أسباب النزول للإمام النيسابورى .. قال ابن عباس
رضى الله عنهما:

كان يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هُزمت خيبر فعادت
اليهود بهذا الدعاء، وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأُمى
الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم.
قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما
بعث النبي ﷺ كفروا به فلعنة الله على الكافرين.

التوسل بالنبي ﷺ فى حياته

٢ . ١

وعن التوسل بالحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه فى
حياته يحدثنا عثمان بن حنيف رضى الله تبارك وتعالى عنه

فيقول: سمعت رسول الله ﷺ، وجاءه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إئت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلى لي عن بصرى، اللهم شفعه في وشفعني في نفسي﴾.

قال عثمان: فو الله ماتفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرر. رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة والترمذى فى جامعہ، وقال الحاكم حديث صحيح.

وأخرج البخارى فى التاريخ وأبو نعيم عن خالد بن سعيد عن أبيه عن جده قال (قدمت - قبيلة - بكر بن وائل مكة فى الحج فعرض رسول الله ﷺ عليهم الإسلام، فقالوا حتى يجئ شيخنا الحارث، فلما جاء قال إن بيننا وبين الفرس حربا فإذا فرغنا نظرنا فيما تقول فلما التقوا بذى قار قال لهم شيخهم ما اسم

الرجل الذى دعاكم؟ قالوا محمد قال فهو شعاركم، فنصروا على
الفرس، فقال النبي ﷺ ﴿بى نصروا﴾.

وما أورده الإمام البخارى عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أنه لما جاء
الأعرابي وشكا للنبي ﷺ القحط، فدعا الله فانجابت السماء
بالمطر، قال ﷺ: لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه، ومن
ينشدنا قوله؟ فقال الإمام على كرم الله وجهه يا رسول الله
كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلل وجه النبي ﷺ ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله: (يستسقى
الغمام بوجهه).

وكان سبب إنشاء أبي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح
بها النبي ﷺ أن قريشا تابعت عليهم سنوات جذب في حياة
عبد المطلب فارتقى ومن معه من قريش جبل أبا قبيس بعد أن

استلموا ركن البيت، وقام عبد المطلب واعتضد النبي ﷺ فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام، ثم دعا فسقوا في الحال .. وكذلك استسقى به أبو طالب أيضا بعد وفاة عبد المطلب حين أصاب أهل مكة قحط شديد فأتوا أبا طالب فقالوا له قد أقحط الوادى وأجذب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه النبي ﷺ وهو غلام فأخذه أبو طالب فألصقه بالكعبة ولاذ الغلام، أى أشار بأصبعه إلى السماء كالملتجئ، وما فى السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأمطرت السماء واغدودق الوادى وكثر قطره وأخصب النادى والبادى وفى هذه يقول أبا طالب بعد بعثة النبي ﷺ يذكر قريشا يده وبركته ﷺ عليهم من صغره:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم

فهو عنده في نعمة وفواضل

توسل النبي ﷺ بغيره

٣ . ١

ليس هذا فحسب بل توسل النبي ﷺ بغيره .. فعن سيدنا أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: ﴿رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة﴾ ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله ﷺ بيده ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ

دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي يَحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَلَقْنَهَا حَجَّتْهَا وَوَسَّعَ عَلَيْهَا مَدْخُلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وكبر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم.

رواه الطبراني في الكبير والأوسط وكذا بمجمع الزوائد الجزء التاسع.

وكان ﷺ يقول بعد ركعتي الفجر ﴿اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَمُحَمَّدَ النَّبِيِّ ﷺ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ﴾ قاله النووي في الأذكار ورواه بن السني وقاله الحافظ بعد تخريجه حديث حسن وفي الجزء الثاني لشرح الأذكار لابن علان وقال معناه: اللهم إني أسألك أي أتوسل إليك بجبريل... الخ لأن الله ليس رب جبريل وإسرافيل وميكائيل فقط وإنما هو رب الخلق أجمعين والتخصيص هنا للتوسل.

وعن أبي سعيد الخدري رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشأى هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيدني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك﴾ رواه بن ماجه وبن خزيمة وبن السنن وأبو نعيم وحسنه ابن حجر والعراقي وقوله صلى الله عليه وسلم (بحق السائلين) شامل الأحياء والأموات.

التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله

٤ . ١

وعن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله أن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعيناه تهمالان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال،

فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء العيون، فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار مخالفان لا يبرحان، اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا.

وقد أورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾^٣ أن الله تبارك وتعالى يرشد العصاة المذنبين أن

يأتوا الى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسأله أن يغفر لهم فإذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ثم ذكر هذه القصة عن جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتي قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾ وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: (يا عتي إحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له).

وروى أبو صادق عن الإمام علي قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر إنه قد غفر لك. من تفسير القرطبي.

وعن الهيثم بن خنس قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضی الله عنهما فخذرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد، فكأنما نشط من عقال.

وعن مجاهد قال: خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضی الله عنهما فقال له ابن عباس: اذكر أحب الناس إليك، فقال: (محمد ﷺ) فذهب خدره. ذكره ابن تيمية في الكلم الطيب.

وذكر الحافظ ابن كثير أن شعار المسلمين في موقعة اليمامة (محمداه) حيث قال ما نصه: حمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز وقال: (أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ يا محمداه).

من كتاب البداية والنهاية لابن كثير.

وقال الإمام الحافظ الدارمي في كتابه السنن الجزء الأول باب (ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته) حدثنا أبو النعمان حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمرو بن مالك البكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: (قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوا - أي نافذة أو فتحة - إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت

الإبل أى تفتقت من الشحم وسمى عام الفتق.

التوسل بغير النبي ﷺ

٥ . ١

وعن جواز التوسل بغير النبي ﷺ فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كانوا إذا قحطوا- استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ففسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا).

وعن عبد الله بن عمر قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فخطب الناس فقال (يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ فى عمه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله، ادع يا عباس، فكان من دعائه رضي الله عنه: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا

إليك بالتوبة فاسقنا الغيث واحفظ اللهم نبيك في عمه).
فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس
وأقبل الناس على العباس يتمسحون به ويقولون له هنيئاً لك يا
ساقى الحرمين.

وقال عمر رضي عنه: ذلك هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه،
وفي ذلك أنشد عباس بن عتبة ابن أخو العباس أبياتا منها:
بعمى سقى الله الحجاز وأهله

عشية يستسقى بشيئته عمر

وكان الحق لسيدنا عمر بن الخطاب في أن يؤم الناس مستسقيا
لهم لكنه تأخر عن حقه وقدم العباس للاستسقاء تعظيماً
لرسول الله ﷺ وتفخيماً لأهله وتقديماً لعمه ﷺ على نفسه
مبالغة في التوسل برسول الله ﷺ ما استطاع، وكذلك حث
الناس على اتخاذ العباس وسيلة إلى الله جل شأنه وكذلك اتخذه
هو وسيلة بتقديمه ليدعو ليقيمه بذلك مقام رسول الله ﷺ حين

كان حيا فاستسقى لهم بالمصلى ليكون أبلغ في تعظيمه
والإشادة بفضل أهل بيته.

وقبل الاستسقاء كان اسم هذا العام (الرمادة) لتطير الرماد من
احتباس المطر، وبعد الاستسقاء أطلقوا على سيدنا العباس
(ساقى الحرمين).

من كتاب مفاهيم يجب أن تصحح.

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوى في كتابه
المسمى (مجمع الأحياب) في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذى
صاحب السنن: أن الترمذى رأى فى المنام رب العزة فسأله عما
يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه عليه، قال: فقال لى:

قل بعد صلاة ركعتى الفجر قبل صلاة فرض الصبح (إلهى بجرمة
الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجنى من الغم الذى أنا فيه،
يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيى قلبى بنور
معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين).

فكان الإمام الترمذى يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح سنة ويأمر أصحابه به ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه، وهو إمام حجة يقتدى به.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يتوسل إلى الله بالإمام الشافعى رضى الله عنهما وتعجب عبد الله بن الإمام أحمد من هذا فقال له الإمام أحمد (إن الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن).

وأورد العلامة ابن حجر فى كتابه (الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان) أن الإمام الشافعى أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبى حنيفة رضي الله عنه يجرى إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به فى قضاء حاجاته.

وروى الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن عن مانع الديلمى رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ﴿لولا عباد الله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم رض رضا﴾ فإذا كانت البهائم

سببا في رفع البلاء فما بال الأولياء؟!!

فإذا كانت مشروعية التوسل صحيحة فما معنى قوله ﷺ إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله.

ويخطئ البعض في فهم هذا الحديث بأنه ينهى عن التوسل ولكن حقيقة هذا الحديث تؤكد التوسل بل وتحت عليه لقوله ﷺ في نفس الحديث ﴿واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك﴾.

إذ الأمة تنفع وتضر ولكن يوضح رسول الله ﷺ بأن لا تحجبك الأسباب عن رؤية المسبب لأن الفاعل في الحقيقة هو الله.

وإذ لم يكن الأمر كذلك فلماذا قال الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾

ولماذا توسل سيدنا آدم بالنبي ﷺ؟

ولماذا توسل اليهود بالنبي ﷺ؟

ولماذا توسل أبو طالب بالنبي ﷺ؟

ولماذا توسل ﷺ بالأنبياء السابقين وبالملائكة؟

ولماذا توسل الصحابة بالنبي ﷺ؟

ولماذا توسل سيدنا عمر بسيدنا العباس رضى الله عنهما؟

ولماذا ولماذا ولماذا...؟؟!!

فهل فهم حديث واحد خطأ ينفى كل هذه الأسانيد.

قليلاً من التفكير يرحمكم الله.



فهرس الآيات

م	الآية	السورة
١	٣٥	المائدة
٢	٨٩	البقرة
٣	٦٤	النساء

المحتويات

م	الموضوعات	الصفحة
1	التوسل بالنبي ﷺ قبل ولادته	4
2	التوسل بالنبي ﷺ في حياته	7
3	توسل النبي ﷺ بغيره	10
4	التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله	13
5	التوسل بغير النبي ﷺ	17